مجلة المقدمة للدراسات الإنسانية والاجتماعية المجلد (06)، العدد (01)، السنة (2021)، ص 239- 254
ISSN: 2602-5566 EISSN: 2716-8999

"أطفالنا على الخط والحياة الرقمية": من تحديات الرقمنة إلى معضلة الجائحة.

"Our Children Online and The digital life":
FromThe Challenges of Digitization to The Pandemic Dilemma

كلثوم بيبيمنو [*1]

[1] قسم علم الاجتماع والديموغرافيا جامعة باتنة 1(الجزائر)، E-mail keltoum.bibimoune@univ-batna.dz،

تاريخ الإرسال: 2021/05/10 تاريخ القبول: 2021/06/25

ملخص:

تعد الحياة لرقمية إحدى أهم المداخل المستجدة التي تستحق البحث خاصة في علم الاجتماع، وهذا بالنظر الى التطور السريع الذي تشهده تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فصارت البيئة الرقمية تستقطب جل الفئات وبالأخص فئة الطفولة لتشكل حياتها وتصبح جزءا هاما من عالمها الصغير تشد انتباههم إليها لتشكل اهتماماتهم وممارساتهم اليومية. لكن رغم أهمية المكاسب والفرص التي تتيحها إلا أنهم ومع نقص المرافقة الناجعة صاروا تدريجيا عرضة لمخاطر عدة تهدد كيانهم الاجتماعي والثقافي أثناء تواجدهم على الخط، وهو الأمر الذي ازداد تعقيدا في ظل جائحة كورونا التي اجتاحت العالم بأسره بالموازاة مع ظروف الحجر الصحي التي قيدت فضاءات التواصل المعتادة. لهذا ولمناقشة الموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي سعيا منا إلى إبراز أهمية الثقافة الرقمية بالنسبة لحياة الطفل بالتعرض لأهم الفرص والمخاطر التي تتيحها له، مع التركيز على اشكال اللامساواة والمخاطر المعلوماتية التي صار عرضة لها، وبالأخص في ظل الجائحة. وتمكنا في الاخير من الكشف عن الواقع الحرج للطفولة على الخط على المستوى العربي والدولي مع مناقشة سبل تحقيق أمنها الإنساني حفاظا على هويتها، كيانها ومستقبلها.

الكلمات المفتاحية: الأطفال على الخط؛ الحياة الرقمية؛ جائحة كورونا؛ المخاطر المعلوماتية؛ الأمن الإنساني.

Abstract

Digital life is one of the most important emerging approaches that deserve research, especially in sociology, view to the rapid development witnessed by information and communication technology, which attracting all categories , especially childhood . As it become an important part of their small world, drawing their attention, forming their daily interests and practices too. However, despite the importance of the gains and opportunities that they provide, but with the lack of effective accompaniment, they gradually made them vulnerable to several risks threaten their social and cultural entity while they were on line and at a very early stage.This was more complicated by the Corona pandemic, which swept the world, particularly with the quarantine conditions that restricted the usual spaces of communication .So by using a descriptive method we seek through this paper to highlight the importance of digital culture, which has become an urgent need for the requirements of this era.focus on the opportunities and risks offered to the child. To discuss the forms of inequality and risks that they are exposed to in the digital environment, especially in light of the pandemic. Rrevealing at the end the critical reality of childhood on line at the Arab and international level to achieve at least their human security in order to preserve identity, entity and future.

Keywords: children online; Virtual life; corona pandemic; digital risks, human security.

[*] المؤلف المرسل.

1- مقدمة

أضحى التصفح المعلوماتي والتواجد على الخط جزءا هاما من حيثيات حياة الطفولة في مجتمعاتنا المعاصرة على اعتبار أن معدلات استخدام شبكة الاتصالات الرقمية في تزايد مستمر كونها تمثل مصدرا هاما للمعلومات سواءا بالنسبة للبالغين والأطفال على حد سواء، خاصة مع ما توفره التكنولوجيات المعاصرة من برمجيات مستحدثة وتطبيقات ذكية تتجدد يوميا، وتتيح للطفل استخدامها عبر الوسائط المختلفة كالألواح الإلكترونية ، الهواتف الذكية المزودة بشبكة الانترنيت والتي صارت تشد انتباه الأطفال، بل تعد مصدر شغفهم خاصة أنهم يميلون خلال هذه المرحلة العمرية المبكرة إلى حب الاطلاع والاستكشاف، يشحنهم الفضول إلى معرفة كل ماهو جديد عن البيئة الرقمية التي تستقطب انتباههم وتفتح أمامهم آفاقا واسعة للانفتاح على عوالم عدة تتجاوز الحدود الزمانية والمكانية للواقع الاجتماعي الذي يعيشون فيه. لهذا تنبه علماء الاجتماع الرقمي الى ضرورة الاهتمام بديناميات البيئة الرقمية كفضاء اجتماعي موازي صار يساهم في إعادة تشكيل الحياة الاجتماعية للأفراد ببعدها الرقمي نظرا للانعكاسات الهامة للثورة المعلوماتية الرقمية على فضاءات التفاعل الاجتماعي والثقافي المعهودة والأطر الاجتماعية الناظمة للهويات الأدوار والعمليات الاجتماعية المتصلة بها، بفعل امتداد تأثيراتها الى الحيز الشخصي للذات الاجتماعية، ممارساتها الثقافية والحياة الاجتماعية اليومية بكل ابعادها والتي صارت أكثر رقمنة في المجتمع الشبكي.

2- تحديد المشكلة

في الواقع لا يمكننا إنكار أهمية المكاسب التي تحققها البيئة الرقمية للطفل، اذ تمكنه من تحصيل معارف جديدة واختبار تجارب متنوعة تساهم في دعم تنشئته وتنمية فرص التفاعل والاندماج الاجتماعي في فضاءات معلوماتية نوعية لم تتح لأطفال القرن الماضي، حيث أضحت الثقافة الرقمية بالنسبة لطفل هذا العصر جزءا هاما من رصيده الثقافي الذي يفترض إثراؤه لتمكينه من فرض وجوده كذات اجتماعية فاعلة ضمن متطلبات مجتمع المعرفة، إلا أن الإشكال الحقيقي يكمن في المخاطر التي قد يصبح عرضة لها أثناء تواجده على الخط (أون لاين)، بالنظر إلى المرحلة العمرية الحرجة التي يمر بها وحاجته الملحة إلى الحماية والمرافقة في هذا الفضاء المعرفي المفتوح على مختلف الخيارات.

فأمام رغبته الشديدة للاطلاع صار ينظر إلى تكنولوجيا المعلومات الحديثة كمصدر للعب واللهو، بل يعتبرها جزءا من عالمه الآمن الذي يساهم في تشكيل معارفه وكيانه الاجتماعي، خاصة مع ما تتوفر عليه من خدمات مجانية، ناهيك عن جاذبية التطبيقات التعليمية والألعاب الالكترونية التي تتيحها له، والتي تدفع الأسرة إلى مجاراته في هذا المسعى، قصد دعمه معرفيا فاتحة له مجال الاستعمال الدوري لها عبر الألواح الالكترونية أو الهواتف الذكية، على أمل تمكينه من الاستفادة من مصادر المعلومات ومواكبة مستجدات العصر للمساهمة في تطوير تكوينه العلمي وفتح آفاق الانفتاح على لغة مستقبله، إلا أن الأمر قد يتجاوز تطلعاتها أحيانا ويجعله عرضة لمخاطر متنوعة وفي مرحلة عمرية جد مبكرة دون توفر التوجيه الهادف والحماية المثلى.

إذ يشير تقرير منظمة الأمم المتحدة للطفولة حول "حالة الأطفال في العالم الرقمي" **أن التقنية الرقمية غيرت مرحلة الطفولة بشكل كبير"**، على اعتبار أن نسبة مهمة من المستخدمين الذين تتراوح أعمارهم بين 15 و24 سنة هم الفئة الأكثر وصولا للأنترنيت، فعلى مستوى العالم 71% من تلك الفئة موصولون بالأنترنيت مقابل 48% بالنسبة لمجموع السكان، بحيث يشكل الأطفال والمراهقون الذين تقل أعمارهم عن 18 سنة ما يقدر بنحو ثلث مستخدمي الانترنيت في مختلف أنحاء العالم. (منظمة الامم المتحدة للطفولة، 2017، صفحة 3) وهو أمر يتطلب التوقف عنده، لأن معدل الاستخدام يكشف حقيقة أن البيئة الرقمية أصبحت تساهم بشكل كبير في "رقمنة

تنشئة للطفل" وبالتالي رقمنه ثقافته عبر ارتباط تطور ممارساته، معارفه ومهارته الاجتماعية بمستجدات البيئة الرقمية والتي قد تقودنا يوما ما على حد تعبير الباحث **دومينيك بوليي** الى مجتمعات تعلي من شان العلاقات الافتراضية والتي قد تصل الى مرحلة اللاتنشئوية" désocialisation " أو الوحدة في الدردشة (chatting alone) . (Boullier, 2016, p. 116)

في مقابل ورغم أهمية الفرص المتاحة صار الطفل عرضة لمخاطر معلوماتية عدة وفي مرحلة جد مبكرة. بفعل تزايد امكانية ولوجه إلى المحتوى المعلوماتي غير الأخلاقي مع التعرض لأشكال التنمر الرقمي والتسلط الافتراضي، ناهيك عن مواجهة صور الاستغلال التجاري والاباحي.. وغيرها من المخاطر المعلوماتية التي قد تمس كيانه الإنساني والاجتماعي، خاصة أن غموض أطراف التواصل ومقاصد العلاقات الافتراضية على الشبكة، مع توفر قابلية التعديل أو الحذف للمحتوى الرقمي المتداول يعقد المسألة كثيرا ويزيد من صعوبة تعقب أطراف الجريمة. ما يعرض الطفل وفي مرحلة عمرية جد حرجة لمخاطر الاستدراج، الابتزاز، بل يصبح تحت وطأة التهديدات المختلفة التي قد تؤثر على حياته الاجتماعية. إضافة إلى ذلك ومع نقص المرافقة الأسرية الناجعة والتأطير التربوي الفعال لأخلقه عادات الاستخدام، وتوجيه الطفل نحو المصادر المعلوماتية الهادفة، يصبح هذا الاخير ضحية شغفه واغراءات البيئة الرقمية اللامحدود خاصة مع تزايد ساعات الاستخدام في ظل ظروف الحجر الصحي وانتشار جائحة فيروس كورونا التي اجتاحت العالم بأسره ، وهو ما زاد الأمر تعقيدا وأفضى الى انتقال آلي نحو البيئة الرقمية عبر الهواتف النقالة كفضاء رقمي بديل لتجاوز مشكلات تقييد الفضاءات الاجتماعية، التعليمية والترفيهية المعتادة، ليواجه اشكالا أخرى من اللامساواة في الفرص المتاحة داخل البيئة الرقمية بسبب نقص الوسائل ،ضعف المهارات التقنية او محدودية مستوى تدفق الانترنيت الأمر الذي انعكس على الحياة الاجتماعية لأطفالنا في عز الازمة الوبائية.

كل ذلك دعانا إلى بحث المتغيرات الاجتماعية والثقافية المتصلة بالحياة الرقمية لأطفالنا للكشف عن ملامحها خاصة في ظل الازمة الوبائية معمناقشة السبل الكفيلة لحماية الطفولة على الخط وتوفير الأمن الإنساني والاجتماعي لها وهذا من خلال طرح التساؤلات الآتية:

ماهي طبيعة الفرص والتحديات التي تواجهها الطفولة أثناء تواجدهم على الخط في البيئة الرقمية؟ ماهي المخاطر التي قد تهدد الحياة الرقمية لأطفالنا في ظل خصوصية هذه الفئة والأهمية التي تمثلها الثقافة الرقمية بالنسبة لها وبالأخص في ظل ظروف الجائحة من منظور علم الاجتماع؟

ماهي الآليات المتاحة لحماية الطفولة على الخط وتوفير الأمن الإنساني لها دون فقدان الفرص التي قد تتيحها لها؟

2-1- المنهج المستخدم

من أجل بلوغ غايات البحث تم الاعتماد على المنهج الوصفي الذي مكننا من جمع معطيات كمية وكيفية سمحت لنا بتشخص أهم الفرص والتحديات التي تواجهها الطفولة على الخط وحياتها اليومية في البيئة الرقمية خاصة في ظل ظروف الجائحة، وهذا من خلال وصفها وتحليلها في الواقع الاجتماعي العربي والدولي بالاعتماد على مختلف التقارير العربية والدولية التي رصدت ملامحها من أجل بحث السبل الكفيلة لحماية الطفولة على الخط.

2.2 – أهداف الدراسة: تسعى هذه الدراسة إلى:

1-توضيح طبيعة العلاقة بين الطفل والبيئة الرقمية وانعكاساتها على حياته اليومية.

2-ابراز طبيعة التحولات التي تشهدها الممارسات الرقمية للطفل بين أهمية الثقافة الرقمية بالنسبة له ورهانات رقمنة ثقافته انطلاقا من زاوية سوسيولوجية .

3-تحديد طبيعة الفرص والمخاطر التي قد يواجهها الطفل في حياته الرقمية كمدخل نوعي بهدف الكشف عن صور اللامساواة الرقمية والمخاطر المعلوماتية التي صار عرضة لها خاصة في ظل جائحة كورونا.

4-إبراز آثار المخاطر المعلوماتية على الطفل والمجتمع الإنساني.

5- التعريف بأهم الجهود الدولية والعربية لبلوغ الأمن الإنساني للطفولة على الخط.

3- الطفولة على الخط والبيئة الرقمية أية علاقة ؟:

تعتبر مرحلة الطفولة محطة جد حاسمة بالنسبة لعملية التكوين الاجتماعي والثقافي للطفل، نظرا للأهمية التي تحتلها عملية التنشئة الاجتماعية في مسار حياته والتي تشغل النصيب الأكبر منها، فبفضلها يكتسب الطفل نسق القيم والعادات المثلى، الرموز وقواعد السلوك، مستلزمات الدور والأحكام المعيارية الموجهة له في ظل المقومات الثقافية لمجتمعه. والتي تمكنه من التكيف والاندماج الاجتماعي بسهولة في الحياة العامة، فهي تشتمل على عمليات جد معقدة تسهم في بلورتها مؤسسات اجتماعية متعددة بدءا بالأسرة لتسهم بذلك في بناء شخصيته انطلاقا من عمليات التعليم والتعلم، المحاكاة والتقليد، لتشكل قيم واتجاهات الطفل سواءا بطريقة مقصودة أو غير مقصودة.

ولكن مع ما تتيحه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات المعاصرة من تدفق معلوماتي ضخم ونوعي مس مختلف المجالات الاجتماعية، التربوية، الثقافية، العلمية، الترفيهية، الخدماتية ....الخ، تغيرت طبيعة التنشئة التي يتلقاها الطفل بالنظر إلى تزايد دور المعرفة بطبيعتها الرقمية عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تنظيم عملياتها الأساسية ونفاذ الممارسات الرقمية الى مجريات الحياة اليومية ضمن فعاليات المؤسسات التنشئوية المختلفة سواءا الأسرة، المدرسة، الاعلام الرقمي، المؤسسات الثقافية....، لنصبح أمام حقيقة "رقمنة عملية التنشئة" التي باتت واقعا محتوما بالنسبة لحياة الطفولة في مجتمعاتنا المعاصرة.

ويذكر أحد الباحثين في هذا الصدد: "لقد أصبحت مهارة "المعرفة "أي تطوير المعلومات المتوفرة إلى معرفة جديدة "هي هذا المفهوم الجديد الذي يتعلق أساسا بكيفية التعامل مع هذا الفيض الهائل من المعلومات، المتراكم في مختلف نظم المعلومات التي يمكن لأي إنسان الدخول إليها وتداول ما فيها، وتشير الدلائل إلى أن المرء مهما تطورت قدراته ومعارفه مازال غير قادر على الاستفادة القصوى مما تيسر له من معلومات (شريف، 2010، صفحة 173)

على ضوء ذلك تغيرت علاقة الطفل بالبيئة الافتراضية من مجرد استخدام ظرفي عابر إلى تواجد يومي مستمر، سواء من خلال استخدام التطبيقات التعليمية أو الألعاب الالكترونية أو الاستفادة من أنماط الاتصال الشبكي عبر شبكات التواصل الاجتماعي خاصة من خلال الهواتف الذكية والتي اكتسب بفضلها أساليب التفاعل، التواصل، والمشاركة مع الآخر في المجتمعات الافتراضية التي تتميز بخاصية المرونة والتمدد، مع تراجع فكرة الجماعة المرجعية بمعناها التقليدي، ليحل محلها مفهوم الترابط مع الجماعات الافتراضية في المجتمع الشبكي المفتوح أين تظهر أشكال جديدة من الترابط الافتراضي ذو البعد التفاعلي الوجداني، والذي تتجلى مظاهره في ممارسات التقليد، اقتفاء الأثر، التعليق، الاعجاب، تبني الآراء.... الخ وهي ممارسات أضحت متداولة في مواقع التواصل الاجتماعي والمنتديات المختلفة. وبما أن المجتمع الافتراضي لا يتحدد بجغرافيا المكان، بل بلب الاهتمام والمصلحة، يستطيع الفرد أن يتواصل مع غيره عبر مختلف الوسائط والبيئات الالكترونية المتنوعة التي لا حدود لها، كما تمكنه من احتلال مراكز متعددة وبناء علاقات لا حدود لها (النجار و القريشي ، 2017، صفحة 144)

على ضوء ما سبق أضحى التواجد اليومي في البيئة الرقمية يشكل بالنسبة للطفل منفذا مهما للتواصل ونسج العلاقات الاجتماعية بل فضاءا للتعبير عن آرائه وهواياته، خاصة مع تزايد ساعات الاستخدام اليومي وما تتيحه له الوسائط المتعددة من إمكانيات الاستخدام الشخصي والجماعي عبرها كشبكات التواصل الاجتماعي التي

صارت تشكل جزءا هاما من ثقافة الأطفال وخاصة المراهقين منها الفايسبوك، يوتيوب، سنابشات، انستيجرام، تيكتوك ...غيرها. على اعتبار ان التكوين الاجتماعي الطفل يقتضي تعلم مجريات الدور من خلال اكتساب سمات الأدوار الجندرية بمحدداتها الثقافية، "كالرجولة" بالنسبة للذكور و"الانوثة" عند الفتيات، وهي مرحلة حاسمة يبحث خلالها الطفل عن نماذج اجتماعية وثقافية ، وكثيرا ما يستعين بالتجارب والخبرات المختلفة لإشباع احتياجاته الاجتماعية والعاطفية، كما يتطلع للاستقلالية والتعبير عن شخصيته وكيانه الاجتماعي بحرية فيوظف البيئة الرقمية لما توفر له من بدائل قد يفتقدها في الواقع، خاصة أن هويته الاجتماعية خلال هذه المرحلة تكون في مرحلة البحث عن فضاءات للتعبير بحرية بعيدا عن الرقابة الأبوية، الأمر الذي يجعلهم عرضة لمخاطر عدة اثناء الإبحار غير الآمن عبر الشبكة.

.4. الطفولة على الخط بين الثقافة الرقمية ورقمنة الثقافة -قراءة سوسيولوجية

لقد تغيرت الحياة الاجتماعية للأفراد بشكل غير مسبوق بفعل الرقمنة، فالنفاذ المستمر للتدفق المعلوماتي الى فعاليات العمليات الاجتماعية والممارسات اليومية المختلفة اثر بشكل كبير على الذات الإنسانية، علاقاتها الاجتماعية والثقافة المجتمعية القائمة عليها، وعليه تنبه علماء الاجتماع من المهتمين بعلم احتماع الحياة اليومية الى ضرورة بحث الكيفيات التي اعادت بها المعلوماتية والمجتمع الرقمي الممتد تشكيل علم الاجتماع وهو ما أشارت اليه تناولات الباحث **هوك بارسيني** (Hugues Bersini) المهتم بهندسة البرمجيات والذكاء الاصطناعي الذي اثار تساؤلات مهمة حول اسهام المعلوماتية في إصياغة العمليات الاجتماعية الجارية وعلم اجتماع في حد ذاته ، من هنا جدد الباحثون تساؤلاتهم المعرفية حول التأثيرات المعتبرة للثورة الرقمية على حياة الأفراد وعليه تسابقت التناولات في علم الاحتماع نحو تطوير البحث في علم الاجتماع الرقمي والثقافة الرقمية الأخذة في الاتساع كحقل معرفي نوعي في الجامعات العالمية لا لبحث تأثيرات الرقمنة فحسب بل لمناقشة الممارسات الرقمية الناشئة عنها والتي برزت بفعل التآلف الاجتماعي بين الانسان والآلة .ومن أبرز بين هؤلاء تبرز اسهامات الباحثة **ديبورا ليبتون** Debora) (luptonالتي قامت بتحديد الحقول الفرعية لعلم الاجتماع الرقمي من منظورها والتي اطرت من خلالها مجالات البحث فيه وهي :

- **الممارسة الرقمية الاحترافية** : للبحث في كيفية استخدام الوسائط الرقمية للأغراض المهنية: لبناء الشبكات ، إنشاء ملفات التعريف الإلكتروني ، ونشر البحوث ومشاركتها ، وتوجيه الطلاب.
- **التحليلات السوسيولوجية للاستخدام الرقمي**: البحث في الطرق التي يستخدم بها الناس الوسائط الرقمية لتكوين إحساسهم بذواتهم وتجسيد علاقاتهم الاجتماعية ودور الوسائط الرقمية في إعادة انتاج المؤسسات والبنى الاجتماعية.
- **تحليل البيانات الرقمية**: استخدام البيانات الرقمية في البحث الاجتماعي سواء الكمي أو النوعي.
- **علم الاجتماع الرقمي النقدي** : إجراء تحليل انعكاسي ونقدي للوسائط الرقمية بالاعتماد على النظرية الاجتماعية والثقافية. (Lupton, 2015, pp. 15-16)

بالنظر الى هذه الاتجاهات البحثية يتضح بجلاء أهمية التحليل السوسيولوجي للممارسات الرقمية للافراد، واهتمامنا ببحث الممارسات الرقمية للطفولة وتحولاتها بالنظر الى ديناميات البيئة الرقمية والوسائط المعتمدة يعد جزءا منها وهو المجال الذي يندرج فيه هذا البحث فالطفولة على الخط تعيش واقعا مختلفا يستحق الدراسة لفهم استخداماتها وممارساتها الرقمية التي صارت تشكل حياتها تدريجيا بالنظر الى امتداد البيئة الرقمية الى حياتها اليومية فصارت تساهم في تشكيل ثقافتها وتبلور وجودها حولها.

لهذا اشار الباحثون الى أهمية الثقافة الرقمية التي صارت جزءا هاما من ثقافة العصر وقد عرفها سيدريك فلوكيجار (Cédric Fluckiger) بأنها: "مجموع القيم والمعارف والممارسات التي تنطوي على استخدام الأدوات المعلوماتية المختلفة بما في ذلك ممارسات الاستهلاك الإعلامي والثقافي، والتواصل للتعبير عن الذات" (FLUCKIGER, 2016, pp. 64-70)

ساهم الاهتمام المتزايد بالثقافة الرقمية ونفاذ ممارساتها الى الحياة اليومية للطفل في رقمنة جزء مهم من ثقافته، كونها حولت أهم اهتماماته نحوها لتوجه اهم ممارساته الثقافية، بل صارت تمثل مصدر معرفة وممارسة يومية خاصة انها شملت مختلف النواحي التعليمية، الترفيهية، الاجتماعية، التربوية، .الى جانب تنامي متطلبات مجتمعات المعرفة وحاجته الماسة الى تطوير مهاراته التقنية وفي مرحلة جد مبكرة، لهذا امتد تأثير البيئة الرقمية إلى ثقافة الطفل وصرنا نتحدث عن "**الحياة الرقمية للطفل**" لهذا تشير الدراسات المعاصرة الى أهمية الاهتمام بالسياقات الثقافية المرقمنة التي صارت تنشؤها التكنولوجيا الرقمية بفعل امتدادها الى النشاطات اليومية المعتادة للطفل من البيت الى المدرسة الى فضاءات العمل ومختلف النشاطات التي يقوم بها البالغون لتشكل خبراتهم وعالمهم الاجتماعي وعليه فنحن امام أولية البحث عن الكيفية التي تتشكل بها "الطفولة الرقمية" اجتماعيا وافتراضيا (Danby, Fleer, Davidson, & Hatzigianni , 2018, pp. 1-2)

لعل معالم رقمنة ثقافة الطفل تتجلى بوضوح في الأدوار الاجتماعية والثقافية التي صارت تؤديها في حياته اليومية بأبعادها الرقمية وارتباطها الواضح بوجوده الاجتماعي و تظهر أهم مؤشراتها فيما يلي:

1-صارت الحياة الرقمية للطفل جزء من أسلوب الحياة المعاصرة حيث ممارسات التصفح الدوري للبريد الالكتروني وشبكات التواصل، الألعاب الالكترونية، إنجاز الواجبات المدرسية، التعلم الذاتي عن بعد...الخ، ممارسات ثقافية دورية تشكل جزءا مهما من حياته اليومية

2-تعد تكنولوجيا المعلومات مصدر معرفة هام بالنسبة للطفل في غياب بدائل وفضاءات ثقافية تحمل ذات الخصائص في الواقع.

3-رقمنة حلقات التواصل وفضاءات التبادل وامتدادها من الحيز الشخصي من البيت الى فضاءات أخرى لا محدودة زمانيا ومكانيا وهي فضاءات ترتكز عليها ديناميكية جماعة الرفاق واهتماماتها، فالعلاقات الافتراضية عبر المجموعات الفاعلة في شبكات التواصل الاجتماعي أضحت جزء هاما من الثقافة الفرعية للجماعات المدرسية التي تشكل رموزها ويتقاسمها إفرادها دوريا للتعبير عن الانتماء.

4-تعد وسيلة للتعبير عن الذات تساهم في بلورة هوية للطفل بين الواقع والمجتمع الشبكي

5-امتداد وتنوع فضاءات التفاعل الثقافي من الحيز المكاني المحلي الى ابعاد ثقافية عالمية.

6-تغير رموز التواصل التي صارت تعتمد أكثر الصورة والعرض المرئي المتزامن كشكل من الحضور الى جانب التأثيرات الرقمية المتصلة به، الامر الذي انعكس على مجرى تواصله وتعقيداته في البنى الاجتماعية سواءا بالنسبة للبالغين او الصغار. ولكن يبقى للرقمنة رهاناتها نظرا لانعكاساتها غير المتحكم فيها خاصة بالنسبة للطفل فالبيئة الرقمية فضاء معلوماتي مفتوح ورغم اهميتها فهي تضعه امام تحديات عدة اهمها :

- غالبا ما يستخدم الطفل الشبكة بدون مرافقة والدية وفي سن مبكرة لا يميز فيها بين ما يضره وما قد ينفعه.
- ثقة الطفل في البيئة الرقمية وأجهزتها المختلفة باعتبارها لعبة ومصدر للتسلية والتعلم لذا ينسج علاقات افتراضية عبرها بسهولة ويثق فيها إلى حد كبير.
- غموض أطراف العلاقة الاجتماعية التفاعلية في البيئة الرقمية يهدد أمن الطفل على الشبكة.

• الاستخدام الشخصي للشبكة بطابعه الانعزالي في غياب المرافقة الأسرية مع ما توفره الألواح الالكترونية والهواتف الذكية من خدمات غيرت حلقة التواصل في الأسرة من تواصل جماعي إلى تواصل فردي انعزالي.

• الارتباط بين هويته الطفل الاجتماعية وهويته الرقمية في الواقع والتطلع إلى التعبير عن ذاته عبرها

• تزايد ساعات الاستخدام اليومي للشبكة يزيد من تعلقه بها لدرجة انه لا يميز بين الواقع والخيال ناهيك عن صعوبة التكيف مع الواقع.

5-.أهم الفرص والمخاطر التي تواجهها الطفولة في البيئة الرقمية :

إن البيئة الرقمية هي ثمرة التفاعل بين الانسان والتكنولوجيا الرقمية، وهي تمثل نظاما معلوماتيا واسعا في شكل بناء شبكي يتم تشكيله رقميا بفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، بحيث يتيح للفرد إمكانية الولوج و التواجد المكتمل بعيدا عن الجسد في فضاءا موازي للعالم الحقيقي يمكنه من المحاكاة ومشاركة الاخرين الحقائق، النقاشات، التعلم عن بعد، التواصل ..الخ لهذا تتنوع مصادر المعلومات التي تتيحها البيئة الرقمية للطفل ، ولاشك أن الفرص التي تفتحها له تمكنه من الولوج الى مجتمع المعرفة والمشاركة في فعالياته اذا أحسن استخدامها و من بين تلك الفرص ما يلي :

●**معرفية**: إمكانية تطوير القدرات العلمية والمعرفية لإنجاز البحوث وتنمية مكتسباته المعرفية عبر الشبكة المعلوماتية خاصة مع توفر المنصات التعليمية الضخمة المفتوحة عن بعد (mooc) والفصول الافتراضية التي تمكنه من التعلم الذاتي والمستمر مع الاستفادة من مختلف المراكز العلمية العالمية وبمختلف اللغات

●**مهاراتية**: تطوير مهاراته التقنية عمليا من خلال التطبيقات المتاحة عبر الصورة للتعلم عن بعد، التي تمكنه من التطبيق المباشر والتواصل مع ذوي الخبرة لمشاركة تجاربهم وتبادل خبرات حول انجازاتهم كاستخدام اليوتوب او منصة ادراك مثلا في التعلم التشاركي وتبادل التجارب.

●**إبداعية:** تنمية مهاراته الإبداعية والابتكارية وإشباع شغف ابراز مواهبه ومهارته بفتح صفحات او مواقع وابتكار أساليب جديدة.

●**دينية:** تنمية ثقافته الدينية بفضل العروض المرئية والصوتية المختلفة مع امكانية الاتصال المباشر باهل الخبرة والاختصاص.

●**ترفيهية:** ملء وقت الفراغ والتسلية الهادفة من خلال توظيف المنصات التعليمية والألعاب الالكترونية الذكية.

●**اجتماعية**: توفر له امكانيات للتعارف وبناء علاقات اجتماعية متعددة وبالتالي تطوير شبكة من العلاقات التفاعلية مع أطفال من سنه ومن مختلف الثقافات.

●**ثقافية**: تطوير قدرته على التعبير عن الذات والحوار الثقافي عبر الانفتاح على الثقافات العالمية واللغات الأجنبية مما يساهم في تطوير رصيده الثقافي واللغوي.

لهذا وبالنظر إلى أهمية الفرص التي تتيحها البيئة الرقمية جددت المنظمة الدولية للطفولة تأكيدها على أهمية الفرص الرقمية التي يتيحها العالم الافتراضي للطفل، حيث يعد عاملا مهما لتغيير قواعد اللعبة في عصرنا ويمكن أن يمثل تغييرا جذريا للأطفال الأكثر حرمانا وضعفا في العالم، يساعدهم على التعلم والنمو وتحقيق امكاناتهم، كما يفتح لهم سبلا جديدة للمشاركة المدنية والاندماج الاجتماعي، لكسر دورات الفقر والحرمان. (منظمة الامم المتحدة للطفولة، 2017، صفحة 25).

رغم أهمية كل تلك المكاسب يبقى هاجس المخاطر المعلوماتية قائما وهذا أثناء استخدامهم اليومي لهذه الوسائط المتعددة، لأنها قد تهدد كيانهم الاجتماعي سواءا عند تصفحهم المكتبات الرقمية لإنجاز بحوثهم وواجباتهم

المدرسية، الاشتراك في المنصات التعليمية للتعلم الذاتي والمستمر، أو اثناء استخدام التطبيقات المختلفة وشبكات التواصل الاجتماعي. ومع تزايد التسهيلات التي توفرها الألواح الالكترونية والهواتف الذكية ذات التدفق العالي تزايد توجه الأطفال إليها وتحولوا من الكمبيوتر العائلي إلى الاستخدام الشخصي الانعزالي عبر الهواتف المحمولة الأمر الذي غير عاداتهم ووتيرة استخدامهم لها بل زاد من فرص التعرض لمخاطر عدة. يمكن ايجازها فيما يلي:

- ✓ التضخم المعلوماتي والتعرض لبعض الأفكار والمعتقدات الدخيلة والغريبة عن ثقافتنا والتي قد تساهم في نشر اللاأمن الفكري عبر زرع خطاب الكراهية، التطرف والإلحاد.
- ✓ غموض هوية أطراف التواصل الافتراضي عبر الشبكة المعلوماتية يجعل الطفل عرضة للإبحار المفتوح ولنتائج غير متوقعة خاصة مع احتمال غياب المتابعة الأسرية ليتجدد السؤال: مع من يتحدث الطفل؟ حول ماذا؟ وماذا يشاهد؟
- ✓ إمكانية التعرض لوصلات اشهارية دورية ذات محتوى اباحي أو تجاري يعرضه لإمكانية زيارة المواقع الإباحية ذات الطابع الجنسي، العاب القمار، مشاهدة صور خليعة، أثناء التصفح بقصد أو دون قصد.
- ✓ إمكانية التحدث مع غرباء وكسب ثقة الطفل عبر التواصل الافتراضي بنية الصداقة ليتم استغلاله في علاقات مشبوهة غير أخلاقية أو التحرش به افتراضيا ومن ثمة واقعيا.
- ✓ التعرض للاستدراج للإدلاء ببيانات الشخصية اوالعائلية كالحصول على معلومات او صور او فيديوهات شخصية يجري استخدامها فيما بعد للابتزاز او التشهير او انتحال الشخصية.
- ✓ التعرض لأشكال العنف الافتراضي والتسلط عبر الأنترنيت الذي يؤدي إلى إلحاق الضرر به عبر التشهير، الابتزاز، الشتم، التخويف والتهديد واستعراض المعلومات عبر الشبكات الامر الذي يصعب إلغاؤه مستقبلا مع إمكانية التعرض لآثارها على المدى الطويل.
- ✓ التعرض لصور الاستغلال التجاري أثناء التسوق الالكتروني والوقوع ضحية للتعاملات المالية غير المؤمنة.
- ✓ التعرض إلى التهديد المستمر وخطر الانعزال والكبت الاجتماعي مما يدفعه الى وقوع ضحية الادمان الافتراضي، او خطر الاستدراج والابتزاز، ومن ثمة الاختطاف او الانتحار خوفا من الجزاءات الاجتماعية، ولاشك أن الانتحار عند الأطفال ضحايا لعبة الحوت الازرق أفضل مثال على انعكاسات التنمر الافتراضي و صور الابتزاز الالكتروني عليهم ، وهي ظاهرة شهدتها الجزائر وغيرها من الدول العربية خلال السنوات الأخيرة.

6-أطفالنا على خط في مواجهة المخاطر المعلوماتية وأشكال اللامساواة في ظل جائحة كورونا:

تعد المخاطر المعلوماتية احدى الظواهر الاجتماعية المستحدثة التي استقطبت اهتمام تخصصات عدة من بينها علم اجتماع المخاطر وعلم الاجتماع الانحراف والجريمة وكذا لمتخصصين في القانون الجنائي، علم النفس الجنائي و علم الاجرام، إلا أن خصوصية المقاربة السوسيولوجية تتفرد بقدرتها على قراءة الظاهرة من زوايا عدة بعيدة عن النظرة الأحادية والمفاهيم النمطية للتأكيد أن الظاهرة لا يمكن أن تحمل تعريفا موحدا، خاصة أن أدبيات علم اجتماع الجريمة أكدت طبيعة الاختلاف في السلوك الاجرامي في ذاته، وفي ردود الفعل حوله والعقاب المسطر له من زمن الى اخر ومن مكان الى آخر مع اختلاف المعايير والضوابط باختلاف السياقات المجتمعية (التايب، 2008، صفحة 146)

تعد المخاطر المعلوماتية (Digital Risks) جزء من مميزات المجتمع الرقمي الممتد والمفتوح على مصراعيه أمام التهديدات غير متوقعة، فالمجتمعات الرقمية هي مجتمعات مخاطرة بالدرجة الأولى ومجتمعات المخاطر هي راهن المجتمعات المعاصرة وهي التي قال عنها عالم الاجتماع الألماني اولريش بيك :" "ان دينامية مجتمع المخاطرة تستند

بدرجة أقل على الافتراض الذي يجعلنا نضطر اليوم وفي المستقبل للعيش في عالم مخاطر لم تكن موجودة به مطلقا ، إلا اننا نعيش في عالم يجب ان يتخذ قرار بشان مستقبله وفقا لشروط عدم الأمان المصطنع والمصنع ذاتيا ، ويندرج ضمن هذا أكون العالم لم يعد قادرا على التحكم في الاخطار التي تنتج عن الحداثة" (بيك، 2013، صفحة 29)

لهذا فالجريمة المعلوماتية هي احدى المخاطر المعلوماتية التي تهدد الطفل وهي جريمة مستحدثة ترتكب عبر استخدام الشبكات الاتصالية والمعلوماتية، ارتبط بروزها بالتحولات المجتمعات العالمية المعاصرة، حيث أضحت الخروقات المرتكبة في المنظومة المعيارية جزءا من البحث عن صناعة الفرص لتحقيق الكسب والنجاح الاجتماعي السريع عند بعض الفئات الاجتماعية ذات الطموح العالي بفعل الضغوطات الاجتماعية والاقتصادية وهشاشة مسارات الانتقال في السلم الاجتماعي مما زاد من احباطاتها الاجتماعية، لهذا تنامت صور الانحراف و الاجرام التي صارت توظف تكنولوجيا المعلومات والاتصالات كوسيلة لتحقيق غاياتها مستغلة حتى براءة الطفولة. الى جانب ذلك فتزايد الفرص غير المشروعة لتحقيق الأهداف عبر الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات مقارنة بالفرص المشروعة المتاحة زاد من احتمال ارتكاب الجرائم المعلوماتية وهو ما يحيلنا الى ما أشار اليه كل من "كلوارد واوهلين" (**Cloward Richard A., Ohlin Llyod E**) في نظرية بناء الفرصة واللذان استفادا كثيرا من نظرية الانومي عند دوركايم في تفسير السلوك الاجرامي (السمري و لطفي، 2014، الصفحات 54-55) ، رغم أن كل ذلك لا ينف وجود متغيرات أخرى ساهمت في تنامي الظاهرة، ناهيك عن الانعكاسات السلبية للنظام العالمي والحداثة المتأخرة بأبعادها السلبية والتي ولدت حسب الباحثة عائشة التايب (2008) أشكالا جديدة من الحركات الاجتماعية تتمظهر في شكل القرصنة الالكترونية التي اتخذت صور متعددة لتصبح ثقافة مضادة في حد ذاتها.

وفي ظل الانتشار العالمي لجائحة كورونا (covid19) التي اجتاحت العالم بشكل غير مسبوق ساء الوضع وازداد تفاقما مع غموض الظروف غير متوقعة التي فرضتها، فصارت نسبة معتبرة من أطفال العالم تقضي وقتا أطول على الانترنيت خاصة في ظل ظروف الحجر الصحي وتقييد فضاءات التفاعل الاجتماعي المعتادة كغلق المدارس، رياض الأطفال وفضاءات اللعب والترفيه، الأمر الذي جعل هذه الفئة ربما أكثر أمنا من مخاطر الشارع، لكنها في المقابل صارت عرضة للمخاطر المعلوماتية المتزايدة داخل الفضاء المنزلي، الى جانب العزلة الاجتماعية دون مرافقة او اشراف تربوي في ظل انشغال الاهل بالبحث عن موارد جديدة بالنظر الى ازمة العمل المفروضة،.لهذا نبهت المنظمة العالمية للطفولة (UNICEF, April 2020) الى خطر تعرض ملايين الأطفال وبشكل متزايد للمحتوى الرقمي غير اللائق وشتى أنواع الاذى عبر الانترنيت بفعل ظروف الجائحة منها: خطاب الكراهية، التنمر الافتراضي، وصور التسلط و الاستغلال الجنسي للأطفال على الشبكة .خاصة أن أغلب الأسر صارت تعتمد أكثر على الحلول الرقمية كبدائل ظرفية لتعليم أبنائها وترفيههم في الوقت الذي قد لا يتمتع فيه الكثير منهم بالخبرة الكافية والموارد الضرورية لحفظ سلامتهم على الخط، ناهيك عن عجز بعض الاولياء على التوفيق بين الالتزامات المهنية ومتطلبات الاشراف على استخدامات أبنائهم لهذا الفضاء المفتوح في ظل ظروف الاغلاق والأزمة الصحية، الاجتماعية والاقتصادية التي أعقبت ذلك.

في نفس الصدد أشار تقرير المنظمة العالمية للطفولة (UNICEF, April 2020) الى أن جائحة كورونا أدت بأكثر من 188 دولة الى غلق المدارس، الأمر الذي انعكس على 90% من المتمدرسين الذين أصبح أغلب روتين حياتهم اليومية على الخط (Online) بحكم بقائهم في المنازل ، فصارت الألعاب الكترونية على الخط ، شبكات التواصل الاجتماعي كأولوية بالنسبة للأطفال لقضاء وقت أطول مع أصدقائهم على الخط في وضعية الحجر الصحي الامر،

الذي زاد من فرص تعرضهم للمحتوى غير الآمن. وهو ما أكده تقرير الإنتربول الأخير (الانتربول، سبتمبر 2020) حيث نبه الى تنامي معدلات استغلال الأطفال من قبل "المتصيدين " عبر الشبكة في ظل ظروف الوباء وداخل منازلهم. اذ ازداد نشاط استهلاك، تبادل وتوزيع المواد المصورة لاستغلال الأطفال جنسيا بين شبكات الأقران، عبر المنتديات وكذا منصات التواصل الاجتماعي، مع زيادة في المواد الاباحية المنتجة ذاتيا للتوزيع عبر الشبكة ونقص بارز في عمليات التبليغ عن حالات الاعتداء على الأطفال. وهو ما يمكن ربطه بالضغوطات الاجتماعية التي قد تتبع التصريح بأشكال الاستغلال التي كانوا عرضة لها والتي قد تدفعهم في أغلب الأحيان الى اخفائها عن أوليائهم، الامر الذي يزداد تعقيدا خاصة مع نقص المرافقة والتواصل الأسري في ظل ظروف الازمة الصحية الوبائية.

الى جانب ما سبق ساهمت ظروف الجائحة في البروز القسري لمظاهر اللامساواة الاجتماعية في فرص التعليم بين الأطفال المتمدرسين وذلك بسبب مظاهر اللاعدالة المفروضة في توزع فرص الاستفادة من الفرص الرقمية للتعلم بالنظر الى الفجوات الاجتماعية والاقتصادية بين الشرائح الاجتماعية المختلفة ، والتي كان وسيكون لها انعكاس حتمي على آداءاتهم المستقبلية، خاصة بالنسبة للمجتمعات النامية.لهذا أشارت المنظمة العالمية للطفولة (UNICEF, April 2020) أنه من الضروري تعاون مختلف الشركاء من أولياء الأمور ، أعوان الصحة و التربية المدرسية ، المساعدين الاجتماعيين ، مؤسسات انتاج المحتوى الرقمي وأصحاب القرار لتكون حياة الطفولة على الخط أكثر إيجابية وامانا في ظل تكافؤ الفرص لتجاوز الفجوات الاجتماعية والثقافية للرقمنة الاخذة في التزايد بين دول العالم وبالأخص في مجتمعاتنا العربية النامية بل بين الدول العربية في حد ذاتها.

لهذا ولتوضيح حجم المخاطر المعلوماتية التي توجه الطفولة على الخط توصلت دراسة حديثة أشرفت عليها الباحثة البريطانية صونيا ليفينجستون و ليزلي هادون (UNICEF, 2012) بالتعاون مع المؤسسة الأوروبية للأطفال على الخط (EU Kids online) من رصد أهم المخاطر المعلوماتية التي يتعرض لها الأطفال عند تواجدهم على الخط ، وأكدت أن الاستخدام المتزامن(On line) يتعلق بوضعية مختلفة تماما عن عملية الاستخدام الظرفي لمتقطع لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات خارج الخط (OFF LINE) من قبل الطفل ، لأن حجم الأخطار حسبها تتزايد بالتواصل المتزامن المستمر والتبادل الافتراضي عبر الخط والذي يتيح للمتنمر الالكتروني او المجرم المعلوماتي إمكانية تتبع ضحاياه عبر الشبكة حتى داخل منازلهم، بالنظر الى مواصفات البيئة الرقمية المفتوحة وغير الآمنة، والتي قد تجعل من الطفل ضحية عمليات الاستدراج او طرفا مشاركا فيها وقد تتجلى مظاهرها في ثلاث اشكال هي :

- **مخاطر المحتوى**: حيث يتعرض الطفل لمحتوى غير لائق ويمكن أن يشمل ذلك الصور الإباحية والعنيفة، اشكال الدعاية والمواد العنصرية او التميزية او خطاب الكراهية، الى جانب الترويج لسلوكيات خطيرة كإيذاء النفس والانتحار
- **مخاطر الاتصال**: عندما يشارك الطفل في اتصال محفوف بالمخاطر مع شخص بالغ يسعى لإغوائه لأغراض غير أخلاقية او جنسية او دفعه نحو التطرف.
- **مخاطر السلوك:** عندما يتصرف الطفل بطريقة تسهم في انتاج محتوى او القيام باتصال محفوف بالمخاطر وقد يشمل ذلك انشاء مواد او مواقع او صور تحرض على الكراهية والعنصرية او الاباحية ...الخ.

من خلال هذا الطرح تتضح لنا أهم الوضعيات التي قد يتخذها الطفل في البيئة الرقمية والتي قد تجعله في بعض الأحيان ضحية لها اومشاركا فيها بحيث يجري استدراجه من قبل "المتصيدين" "(Prédateurs) ليصبح مشاركا في أفعال إجرامية دون إدراك منه لعواقب ذلك، الأمر الذي يجعله عرضة لمخاطر الجرائم المعلوماتية من

انتهاك للخصوصية الى الاباحية الالكترونية والاستغلال الجنسي للطفل على الخط.(La cyberintimidation) وغيرها من صور الاجرام المعلوماتي التي تهدد الطفولة والتي رصدت مظاهرها ونتائجها دراسة عربية مهمة حول سلامة الاطفال على الانترنيت تحت اشرف عليها المركز التربوي للبحوث والانماء والتي أكدت ان للبيئة الرقمية فوائد مهمة للطفل العربي لكن سوء استخدامها وغياب الضوابط و الرقابة يؤثر سلبا على الطفولة خاصة انها تمثل الحلقة الأضعف في المجتمع (المركز التربوي للبحوث و الانماء، 2018؛ (Espace_réservé1

7-الجهود الدولية والعربية لبلوغ الأمن الإنساني للطفولة على الخط:

الأكيد أن تزايد المخاطر في المجتمعات المعاصر دفع الباحثين الى الاهتمام بجال علم الاجتماع الأمن الذي يعد أحد المداخل الهامة في السوسيولوجيا المعاصرة خاصة مع تزايد المخاطر التي صارت تهدد أمن الاجتماع الإنساني والعمران البشري مثل: الصراعات والحروب الاقليمية، الإرهاب العابرة للحدود، الى جانب تنامي أشكال الجريمة المنظمة وبروز أشكال مستحدثة من التهديدات الجديدة الآخذة في الظهور والتي تنمو كل يوم سوآءا في المجتمعات المتقدمة او المجتمعات الأقل تقدما الى جانب الممارسات التي تتم في المجتمع الافتراضي وتهدد امن الإنسان وحياته. (أبو دوح، 2017) لهذا صار من صميم واقعنا الراهن الحياة في مجتمعات تحفها المخاطر تهدد الأمن الإنساني، فالانفلات هو أحد سمات العولمة على حد تعبير أنطوني غيدنز (جيدنز، 2005) والمجتمعات الراهنة هي مجتمعات قلقة غير مستقرة، على هذا الأساس أصبح السعي لبحث بدائل مؤسساتية في مختلف الميادين ضرورة لدعم الأمن الإنساني والتكامل البشري وبالأخص بالنسبة لفئة الطفولة وهو الأمر الذي اضحى من صميم أولويات انسان القرن الواحد والعشرين.

وحسب تقرير الاتحاد الدولي للاتصالات بالتعاون مع المنظمة العالمية للطفولة (IUT; UNESCO, October 2019) حول أمن الطفولة على الخط أن المركز الأمريكي للأطفال المفقودين والمستغلين تلقى 18.4 مليون تقرير عن مواد اعتداء جنسي على الأطفال متاحة عبر الانترنيت، كما يضيف إلى أن 56%من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 8 و12سنة في 29 دولة تعرضوا لوقت طويل إلى الشاشة وواجهوا خطر الكتروني واحد في المتوسط بما في ذلك، التنمر الالكتروني، ادمان العاب الفيديو والاغراءات الجنسية.

ومع استمرار تنامي هذه المعدلات المقلقة سنويا صار من الأولويات البحث عن آليات بلوغ الأمن الإنساني للطفل في البيئة الرقمية لضمان "سلامة الحياة الرقمية لأطفال الغد" باعتبارهم يشكلون قاطرة المستقبل ورأسماله البشري. بل صار من الأجدى تطوير استراتيجيات متكاملة وشاملة لضمان حماية أطفالنا وأمنهم الإنساني على الخط، خاصة مع ضعف البنى التحتية القائمة عليها والمنظومة المعلوماتية والبحثية المتاحة حولها بشان صور استغلال الطفولة على الخط خاصة في الدول النامية ومجتمعاتنا العربية تحديدا، مقارنة بالدول المصنعة نظرا لطبيعة الفجوات الرقمية بينهما سواءا من حيث:

إمكانية الوصول الى الانترنيت، الحواجز الاجتماعية والثقافية المتعلقة بمستويات التعليم، مستوى الالمام بالمهارات التقنية، توفر التجهيزات التكنولوجية والتغطية الرقمية، مستوى ثقة الاهل في استخدامات أبنائهم واشرافهم على تأطيرها ناهيك عن تأثير التفاوتات الاجتماعية والثقافية على المهارات الرقمية للأطفال ونوعية استخداماتهم (منظمة الامم المتحدة للطفولة، 2017).

لهذا فقد توالت الجهود الدولية لوضع القوانين والتشريعات لضمان سلامة الطفولة على الانترنيت منذ نهاية القرن العشرين، ولتحقيق ذلك أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارات داعمة لحق الطفل في الحماية من صور الاستغلال عبر الانترنيت ، من خلال إصدار البرتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل شهر يناير 2000 والمتعلق بحضر بيع الأطفال واستغلال الأطفال في البغاء والمواد الإباحية، والذي أكد على حق الطفل في الحماية

من أشكال الاستغلال الإباحي ودعمت الأمم المتحدة ذلك في المؤتمر العالمي لمكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال بالبرازيل سنة 2008 ، مع تجريم كل صور الاستغلال ودعم مبادرات التعاون الدولي لحماية الطفولة. (منظمة الامم المتحدة، 25 ماي 2000)

في نفس السياق برزت مساعي حثيثة لتطوير منظومة تقنية ذات طابع دولي تسعى لتوفير قاعدة لاهم البيانات المتعلقة بالجرائم والمجرمين تشرف عليها المنظمة الدولية للشرطة الجنائية (interpol)والتي تتيح للمحققين المتخصصين في أنحاء العالم امكانية تقاسم البيانات عن الحالات المتعلقة بالاعتداء الجنسي على الأطفال عبر الانترنيت، من خلال استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وبرمجيات التعقب لاقتفاء أثر بيانات مرتكبي صور الإجرام المعلوماتي وتوفير الجهد والوقت لحماية الضحايا على الخط (الانتربول، 2020)

إلى جانب ذلك جرى العمل على تطوير منظومة بحثية دولية بالتعاون مع مختلف الأطراف الفاعلة بهدف بعث مشاريع جادة لمواكبة تطور ممارسات واستخدامات الطفولة للرقمنة ويعتبر مشروع أطفال العالم على الانترنيت (Global Kids Online, 2021) أحد المشاريع الرائدة الساعية ضمت شبكة دولية لأجراء بحوث دقيقة وقابلة للمقارنة حول استخدامات الأطفال للتقنيات الرقمية تحت اشراف المنظمة العالمية للطفولة من خلال مكتب اليونيسيف للأبحاث وكلية لندن للاقتصاد، كذا شبكة الاتحاد الأوروبي للأطفال على الانترنيت حيث يوفر المشروع أدوات بحثية ومنهجية بروتوكولات نوعية حول استخدامات الأطفال للأنترنيت.

إضافة الى ذلك تسجل جهود الاتحاد الدولي للاتصالات (ITU) الذي تسعى تقاريره الدورية الى التأكيد على حق الطفل في بيئة افتراضية آمنة، حيث اصدر مؤخرا (2020) تقريرا حول اهم المبادئ التوجيهية لواضعي السياسات وكذا صانعي المحتوى الرقمي بشأن حماية الأطفال على الانترنيت، واعتبر أن إنجاح أي استراتيجية وطنية لحماية الأطفال يتطلب الانطلاق من الاطار القانوني عبر التنفيذ الفعال للتشريعات الى جانب مبادرات التوعية والتعبئة الاجتماعية، مع تكثيف الجهود لتمكين الأطفال من التعلم الرقمي وتنمية مهارات التفكير النقدي لديه للحفاظ على سلامتهم دون فقدان فرص التعلم المستمر عبر الرقمنة. (الاتحاد الدولي للاتصالات، 2020)

اما في المجتمعات العربية فان انعكاسات استخدام الأطفال لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات كان وقعها أكبر على الطفولة من باقي دول العالم، وهذا نظرا لاختلاف الظروف السائدة وعدم استقرارها كالحروب ومناطق النزاع، الأزمات الاقتصادية والسياسية، والتي أثرت بدورها على نوعية الاحتياجات الفردية والجماعية وأفرزت تباينات عميقة في فرص الاستفادة، خاصة مع صعوبات توفر التكنولوجيا الحديثة والوصولية للرقمنة. لكن رغم تلك التحديات مكن الاتصال الرقمي المتاح لبعضها عبر الأجهزة المتوفرة خاصة من خلال الهواتف والالواح الذكية امكانية ولوج الأطفال الى البيئة الرقمية حتى داخل منازلهم باعتبارها من أكثر بيئات امنا لهم وفي مرحلة عمرية جد مبكرة .ويشير تقرير اليونيسف عن حالة أطفال العالم في العالم الرقمي لسنة 2017 من خلال نتائج دراسة استقصائية أجريت في الجزائر ومصر والعراق والمملكة العربية السعودية بينت ان العمر من 10 الى 12 عاما هو العمر الأكثر شيوعا لتلقي الطفل اول هاتف جوال ، حيث أصبح هؤلاء الاطفال جزءا متزايدا من ثقافة غرفة النوم التي غيرت كيفية واماكن الدخول الى الفضاء الرقمي ، كما وفرت لهم المزيد من الخصوصية والاستخدام الشخصي وصاروا أقل خضوعا للإشراف. (منظمة الامم المتحدة للطفولة، 2017، صفحة 64).

الى جانب ما سبق فان المشكلة الأكبر تبرز في صور اللامساواه الرقمية التي تتجلى في مظاهر اللاتجانس في المهارات والفوارق الرقمية المتاحة مقارنة مع حجم الحاجة المتزايدة الى استخدام الأطفال للبيئة الرقمية ، مقابل ضعف مستوى المرافقة الوالدية والاشراف التربوية المتاح، بل حتى نظم الحماية الرقمية المنتهجة سواءا من قبل

الهيئات التعليمية او الثقافية ،التشريعية والأمنية لضمان سلامة الطفل من صور الاستغلال، والتي قد تجعله ضحية للمخاطر المخاطر المعلوماتية وهو ما كشفت عنه جائحة كورونا .

لهذا برزت مبادرات وبرامج محلية لتحقيق سلامة الطفولة على الخط قبل الجائحة الا انها لا تزال في مراحلها الأولى، حيث ركزت أغلبها على الحملات التوعوية عبر المدارس والمجتمع المدني إلى جانب تطوير منظومة بحثية، أمنية وتشريعية مع استخدام برمجيات ومنصات رقمية لمكافحة صور الاجرام المعلوماتي .وفي هذا الصدد بادرت العديد من المنظمات الحكومية وغير الحكومية في مختلف الدول العربية بإطلاق مبادرات "الأمان والسلامة عبر الانترنيت "عبر اقتراح تطبيقات للسلامة الرقمية وكذا السعي إلى إدخال موضوع السلامة على الانترنيت ضمن المقررات الدراسية لتأطير الاستخدام الأمثل للبيئة الرقمية، الى جانب ذلك بادرت الألسكو لدعم ترقية ثقافة الطفل عبر توجيه مهارات الطفل من خلال التعلم المفتوح وعن بعد حتى خلال فترات الاغلاق (الألسكو، مارس 2020) وهو ما لجأت اليه أغلب الدول من خلال توجيه التربوي للطفل الى ممارسات الاستخدام الأمثل للبيئة الرقمية وفي مراحل مبكرة .

رغم أهمية كل تلك الجهود لا يزال الطريق طويلا ، خاصة بالنسبة لفئة الطفولة في مجتمعاتنا العربية والتي تعاني في صمت بين تطلعات أطفالنا ومشكلات التنسيق بين مختلف الهيئات المشرفة عليها في ظل مأزق الفجوة الرقمية ، لهذا وبالموازاة مع ذلك سعت الجزائر كباقي الدول العربية الى تكثيف الجهود من أجل مواكبة مستجدات تنامي أشكال المخاطر المعلوماتية خاصة عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتحديدا "الفايسبوك" الذي يشهد استخداما واسعا لدى مختلف الشرائح الاجتماعية ، حيث بلغ عدد المستخدمين في سبتمبر 2020 نحو 24730000 مستخدم مقارنة بمجموع المستخدمين الذي بلغ 25428159ما يمثل نسبة 58%من مجموع السكان (Internet world stats, 2020)، على اثر ذلك عززت المنظومة القانونية ومنظومة الامن التقني و المعلوماتي، فأصدرت مراسيم تشريعية لحماية الطفل من خلال قانون رقم 12-15 الصادر سنة 2015 وهذا بالتنسيق مع الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة ، اين حددت صفة **"الطفل في خطر"** بأنه الطفل الذي تكون صحته او اخلاقه او تربيته او أمنه في خطر او عرضة له ، الى جانب ذلك تم اصدار قوانين للوقاية من الجرائم المعلوماتية ومكافحتها في إطار تجريم اشكال الاستغلال غير القانوني للمعطيات عبر أجهزة الحواسيب المتصلة بتكنولوجيا الاعلام والاتصال أهمها:

- **قانون 04-15 الصادر سنة 2004**: يتضمن محاربة الجرائم الماسة بالمعالجة الالية للمعطيات الذي حدد الأفعال المجرمة صفاها وظروفها مع سن عقوبة فاعلها لتتراوح من شهرين الى ثلاث سنوات وغرامة مقدرة من 50.000 دج الى 5.000.000 على الأكثر مع مضاعفة العقوبة في حالة ارتكاب الجريمة تمس الامن الوطني.
- **قانون 09-04 الصادر سنة 2009**: يتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الاعلام والاتصال.
- **المرسوم الرئاسي الصادر في 29 أكتوبر2015:** يتضمن انشاء الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الاعلام والاتصالومكافحتها الذي جرى تنفيذه بموجب المرسوم الرئاسي المؤرخ في 6 جوان 2019، الصادر في العدد الأخير من الجريدة الرسمية والمحدد لتشكيلة الهيئة الوطنية للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ومكافحتها وتنظيمها وكيفيات سيره الذي ضم تعديلا هيكليا لقانون 2009. (الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة ويونيسف الجزائر، 2015)

حيث صارت الهيئة تضم مجلس توجيه ومديرية عامة تابعة لوزارة الدفاع بعد ان كانت تحت اشراف وزير العدل، لتشرف هذه الهيئة الى جانب المصالح المركزية للأمن الوطني وكذا المركز الوطني للوقاية من جرائم الإعلام

الالي وجرائم المعلوماتية والمعهد الوطني للأدلة الجنائيةوعلم الاجرام على تقديم تقارير دورية وتطوير اليات التدخل التقني لمعالجة ومتابعة مستجدات الظاهرة والوقاية من أشكال الاجرام المعلوماتي.

رغم أهمية الجهود المبذولة على المستوى التشريعي ، التقني، والأمني الا ان الحقائق الميدانية توحي بوجود نقص نوعي على مستوى الأداء الواقعي للمؤسسات التربوية، الصحية والمجتمع المدني كشركاء فاعلين لتأطير استخدامات الطفولة على الخط ، مع أن المنظومة القيمية المحلية لازلت تحرص على حماية الطفل أخلاقيا وإنسانيا في ضوء تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء وكذا القوانين والأعراف، إلا أن التغيرات الثقافية الملازمة لعمليات التثاقف بفعل الرقمنة وتسارع وتيرة الاتصال ساهمت في بث نماذج ثقافية وافدة وممارسات يومية امتدت الى السياق الثقافي للطفل واستقطبت فئة الطفولة وخاصة المراهقين منهم ، مما جعلهم أكثر انبهارا بها وعرضة في الوقت ذاته لمخاطر البيئة الرقمية وفي مرحلة جد مبكرة خاصة مع نقص التأطير التربوي و الثقافي .

الى جانب ذلك فان التشريعات القانونية القائمة عليها تطرقت الى الجرائم المتصلة بتكنولوجيات الإعلام والاتصال ولم تتطرق الى "الجريمة المعلوماتية "صراحة لأن وسائلها وبرمجياتها متعددة وتتطور يوميا عبر الشبكة بشكل غير مسبوق ، الى جانب ذلك فهي لم تخصص لفئة "الطفولة على الخط" تعليمات محددة تختص بها ، وهي فئة لها احتياجاتها النوعية وتعاني من أشكال الإقصاء ونقص فضاءات التعبير والفعل الثقافي في الواقع، باعتبار أن المؤسسات التربوية والثقافية الحاضنة لها لم تستوعب بعد التطورات الجارية في عالمهم الافتراضي، ولا تواكب تطورات ممارساتهم الرقمية لتجعل منها أساس دعم العملية التعليمية والثقافية القائمة على تنمية المهارات الإبداعية والتعلم الذاتي، كل ذلك انعكس سلبا على ممارساتهم الرقمية وأنماط استخدامهم للشبكة التي أضحت بالنسبة لهم فضاءا للعب والترفيه اللامحدود، بل ساهم ذلك في إبداع صور جديدة من الانحراف المعلوماتي كشكل من الانحراف الابتكاري على حد تعبير البارسونز " ، وهذا أمام نقص التأطير والمرافقة الهادفة للاستثمار النوعي في تلك الطاقات وفي مرحلة جد مبكرة ، وهو امر يستحق ان نوليه العناية المثلى لضمان الامن الإنساني للطفولة على الخط وتأطير حياتها الرقمية باعتبارها الرأسمال البشري والفكري في العقود المستقبلية القادمة.

خاتمة:

في الأخير لا يسعنا الا التأكيد على الأهمية المحورية التي علينا ان نوليها الى "الحياة الرقمية للطفولة من اجل مستقبل أفضل " مع التركيز على أبعادها الثقافية، التربوية والأخلاقية لتأطير مسار الرقمنة، من خلال بحث مواصفاتها وسبل ترقيتها مع تطوير منظومة تشريعية،رقمية واجتماعية تواكب تطوراتها المتسارعة لضمان سلامتها رقميا وأمنها الانساني وهذا بالتعاون مع مختلف الفاعلين الاجتماعيين ، لتمكين الطفولة على الخط من الاستفادة المثلى من الفرص المتاحة في البيئة الرقمية وتجنيبها مخاطر المعلوماتية التي قد تصبح ضحبة لها خاصة خلال ظروف الازمات ، و من بين اهم النتائج المتوصل اليها في البحث :

- إن تحقيق الأمن الإنساني للطفولة على الخط لن يتأتى على المستوى المحلي والعملي دون الأخذ بعين الاعتبار دور الأسرة في مرافقة الأبناء وأخلقه ممارسات الاستخدام الآمن للشبكة عبر دعم الحوار والتواصل الاسري من اجل الاستفادة منها في تنمية مهارات الطفل الإبداعية خاصة خلال فترة الازمات الإنسانية كالجائحة مثلا، وهذا لتدراك الفوارق والفجوات الرقمية التي قد تزيد من عزل الافراد وتحرمهم من فرص التعلم خاصة ان الثقافة الرقمية تعد جزءا مهما من عالم أطفال اليوم.
- توفير الأمن المعلوماتي يعد من الأولويات ولا يتحقق ذلك الا عبر تطوير برمجيات لضمان الأمن الانساني للطفل باعتباره رأسمال حقيقي الذي يعول عليه في بناء المستقبل.

- ضرورة تعزيز مفهوم المواطنة الافتراضية لدى الطفل باعتباره فاعل في مجتمع المعرفة ويقوم عليه نجاح استراتيجيات الأمن الانساني والثقافي للمجتمعات المعاصرة.
- ضرروة توفير مراكز خاصة للإبلاغ عن صور الاستغلال ودعم المرافقة الاجتماعية الرقمية للأطفال ضحايا أشكال الاستغلال على الخط بالتنسيق مع المؤسسات التربويةو الثقافية، كفئة لها احتياجاتها المختلفة عن الفئات الأخرى لحمايتها من المخاطر المعلوماتية المختلفة.
- تطوير منظومة تعلمية رقمية هادفة لترسيم الممارسات الرقمية في إطار تربوي تعلمي مفتوح يستفيد من المنصات التعليمية المفتوحة والتعليم عن بعد وتمكين الطفل من الاستفادة المثلى مما تتيحه البيئة الرقمية وبالتالي تأطير ثقافته الرقمية.
- دعم دور المجتمع المدني وتوطيد الشراكة الاجتماعية بين مختلف القطاعات التربوية والثقافية والأمنية في إطار استراتيجية وطنية ودولية لتأطير الاستخدام الآمن للأطفال على الخط ومواكبة تطورات الممارسات الرقمية عند الأطفال من خلال تطوير اليات الحماية، المرافقة وترسيخ الممارسات الرقمية الهادفة.

قائمة المراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية

1. الاتحاد الدولي للاتصالات. (2020). *مبادئ توجيهية لواضعي السياسات بشأن حماية الأطفال على الانترنيت 2020*. تم الاسترداد من :https://www.itu.int
2. الألسكو. (مارس 2020). *تسهيل التعليم المرن عند اضطراب التعليم -التجربة الصينية في الحفاظ على استمرارالتعلم في ظل تفشي فيروس*. تم الاسترداد من :http://www.alecso.org/nsite/images/2020/corona_books/easy_learn.pdf
3. الانتربول. (2020). *قاعدة البيانات الدولية لصور الاستغلال الجنسي للاطفال*. تم الاسترداد من https://www.interpol.int/ar/4/16/3
4. الانتربول. (سبتمبر 2020). *اثر كوفيد19 تهديداته و اتجاهاته-استغلال الاطفال و الاعتداء عليهم جنسيا*. تم الاسترداد من https://www.interpol.int/ar/1/1/2020/1911
5. السيد عبد القادر شريف. (2010). *التنشئة الاجتماعية للطفل العربي في عصر العولمة*. القاهرة: دار الفكر العربي.
6. المركز التربوي للبحوث و الانماء. (2018). *سلامة الاطفال على الانترنيت*. لبنان. تم الاسترداد من https://www.crdp.org/project-details1/635/310
7. الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة ويونيسف الجزائر. (2015). *قانون رقم 12-15 مؤرخ في 28 رمضان 1436 الموافق 15 يوليو 2015 يتعلق بحماية الطفل*. تم الاسترداد من https://www.unicef.org/algeria/media/1066/file/La%20loi%2015-12%20en%20arabe.pdf:
8. أنطوني جيدنز. (2005). *عالم منفلت كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا*. القاهرة : ميريت للطبعة و النشر.
9. اولريش بيك. (2013). *مجتمع المخاطر العالمي بحثا عن الأمان المفقود*. (علا عادل وآخرون، المترجمون) مصر : المركز القومي للترجمة.
10. حسن رضا النجار ، و فاضل عبد علي القريشي . (2017). *الاعلام الرقمي واتجاهاته الحديثة* . لبنان : دار الكتاب الجامعي .
11. خالد كاظم أبو دوح. (2017). *علم الاجتماع الامن محاولة التأصيل*. مؤسسة مؤمنون. تم الاسترداد من https://www.mominoun.com/pdf1/2017-08/ammn.pdf
12. عائشة البشير ضو التايب. (يناير، 2008). الثورة الرقمية المضادة:مقاربة سوسيولوجية لجرائم الفضاء الالكتروني. *اضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع*(1). تم الاسترداد من https://search.emarefa.net/detail/BIM-40689
13. عدلي محمود السمري، و طلعت لطفي. (2014). *علم اجتماع الجريمة و الانحراف* . عمان: دار المسيرة .
14. كلثوم بيبيمون . (2016). السياقات الثقافية للهوية الرقمية في ضوء تحديات المجتمع الشبكي من التداول الافتراضي الى الممارسة الواقعية. *اضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع*(33-34). تم الاسترداد من https://search.emarefa.net/detail/BIM-717332

15. منظمة الامم المتحدة. (25 ماي 2000). *البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل*. تم الاسترداد من https ://www.ohchr.org/AR/ProfessionalInterest/Pages/OPSCCRC.aspx

16. منظمة الامم المتحدة للطفولة. (2017). *تقرير حالة أطفال العالم لسنة 2017 "الأطفال في عالم رقمي*. تم الاسترداد من https://www.unicef.org/media/48596/file/SOWC_2017_AR.pdf

ثانيا: المراجع باللغة الاجنبية

1. Boullier, D. (2016). *Sociologie du numérique.* France: Armand colin.
2. Danby, S., Fleer, M., Davidson, C., & Hatzigianni , M. (2018). Digital Childhoods: Technologies and Children's Everyday Lives. *nternational Perspectives on Early Childhood Education and Development, 22*.
3. FLUCKIGER, C. (2016). Culture numérique, culture scolaire: homogénéités, continuités et ruptures. *Diversité* (185).
4. Global Kids Online. (2021). *Global Kids Online*. Récupéré sur http://globalkidsonline.net/
5. Internet world stats. (2020). *Internet users Statistics for Africa.* Récupéré sur https://www.internetworldstats.com/stats1.htm.
6. IUT; UNESCO. (October 2019). *Child Online Safety: Minimizing the Risk of Violence, Abuse and Exploitation Online.* Récupéré sur https://www.broadbandcommission.org/publication/child-online-safety/
7. Lupton, D. (2015). *Digital sociology.* USA: Routledge.
8. UNICEF. (2012). *Child safety online Global challenges and strategies.* Récupéré sur https://www.unicef-irc.org/publications/650-child-safety-online-global-challenges-and-strategies.html
9. UNICEF. (April 2020). *COVID-19 and Its Implications for Protecting Children Online.* Récupéré sur https://www.unicef.org/documents/covid-19-and-implications-protecting-children-online